غادة شبير: ماذا سيكتب التاريخ عن مهرجاناتكم؟

خاصVDL 17 آب/أغسطس ٢٠١٩

قالت الفنانة غادة شبير انها صارت اليوم تتوقف أكثر عند عبارات التقدير والاعجاب بصوتها أو بما تقدّمه على صعيد التلحين والغناء. ففي السابق كانت عبارة "صوتك حلو" مجرد إطراء روتيني بالنسبة لها اعتادت سماعه منذ الصغر، لكنها اليوم تقدّر موهبة الصوت الجميل التي خصّها الخالق بها، لذا فهي تتمتع بكلام الجمهور ونظراته اليها على المسرح وانتظار جملة لحنية معيّنة منها. وأشارت شبير في حديث الى برنامج "حديثك بمحلّو" من "صوت لبنان"، الى انّ نمط اغنياتها صعب والالات الموسيقية التي ترافقها في حفلاتها عددها قليل غالبًا، لأن أولويتها للصوت لا للآلة، من هنا فهي تحتاج لصمت الجمهور الحاضر خلال أدائها على المسرح، وتنزعج من كثرة الحركة أمامها او ضجيج الأطفال او السعال المتواصل لأحد الحاضرين على سبيل المثال.

ورأت أستاذة الغناء الشرقي الدكتورة غادة شبير أنّ على المغني ان يفهم ماهيّة الصوت، وأنه آلة غير مرئية يحركها العقل والخيال ولا يمكن معالجتها الا بروحه من الداخل. من هنا على الفنان تعلّم كيفية المحافظة على صوته وان يحصّن نفسه بالثقافة الفنية، ويعرف متى يكتمل الصوت ومتى تتراجع قدراته ويقصر النفس، ومتى يصبح عليه لزامًا حين يتقدّم به العمر، "الاحتيال" في أداء العُرب واستبدال نمطه الغنائي بآخر مناسب لسنّه. واعتبرت شبير ان معظم المغنين لا يقبلون واقع تراجع قدراتهم الصوتية، وأنهم في الخمسين والستين من عمرهم لا يمكنهم الاستمرار في الغناء بالطريقة التي كانوا يغنّون بها حين كانوا في العشرينات والثلاثينات من عمرهم، ويبدؤون بالمقاومة للاستمرار. لذلك يلجأ البعض منهم الى مدرّبين وأساتذة غناء لمساعدتهم في المحافظة على أدائهم، مع ضرورة

ان يترافق ذلك مع أسلوب حياة صحي وصحيح، مشبّهة الصوت بالطفل الذي يجب حمايته والانتباه عليه ومراعاته من البرد والحر الشديدين، وعدم تناول المثلّجات والمأكولات الشديدة السخونة، وتجنّب الانفعال والصراخ. فالصوت العالي والضغط النفسي والحزن الشديد، افقدوا بعض الفنانين أصواتهم، من هنا قالت شبير انها قبل احياء حفلاتها تبتعد قدر المستطاع عن كل ما يمكن أن يزعجها ويحزنها وتلجأ لنظام حياة مريح كي لا تفقد لمعان وقوة الصوت ورغبتها في الغناء. وأشارت الى انّ الفنان دقيق وحساس ومن الضروري ان يفهم شريكه طبيعة حياته ويؤمن له الراحة، لهذا يختار بعض المغنّين حياة العزوبية أو أحيانًا الانفصال عن الزوج لأن الموضوع اكبر من "انا انزعجت اليوم وبكرا برضى.. انت بترضى لكن الصوت ما بيرضى وقت بدنا".

وردًا على سؤال للزميل شادي معلوف قالت شبير ان مجرّد تفكيرها باحتمال فقدان صوتها شعور مخيف ومرعب، ولا يمكن لأي فنان ان يتقبّل هذا الامر. لكن لكونها اكاديمية يمكنها الاستعاضة عن الغناء بالابحاث والدراسات وإصدار المؤلفات، رغم يقينها أن لا شيء يعوّض الفنان عن لذة الغناء، فصحيح ان الناس تُسعد بغناء الفنان، لكن سعادة الجمهور لا تقارن بالسعادة التي يشعر بها الفنان حين يغني.

وقالت شبير ان طريق الفنان ليس سهلاً، فهو في تعب متواصل، وليس صحيحًا ان حياته عبارة عن "عمل حفلة وراح نام". فاختيار الكلمة واللحن والغناء والتكاليف المادية أمور صعبة بالنسبة لأي فنان. وعن تجربتها الخاصة قالت انها حياتها تُقسم الى قسمين كبيرين: القسم الاكاديمي، من دراسات وابحاث وتعليم. وهو جزء من

شخصيتها ولا يمكنها التخلي عنه. والقسم الثاني، والتلحين والصوت والبحث عن الانماط الغنائية الجديدة، لا فقط الغناء

لمجرد الغناء والانتقال من اصدار اغنية الى اخرى. وتابعت انها في بحث دائم عن جديد وبصمة خاصة في اعمالها كي لا تكون نسخة عما يقدمه الاخرون.

وعن انطلاقتها من الترنيم الكنسي قالت شبير إنّ كل من غنى هو وليد مدرسة قرآنية او كنسيّة. فالاصوات التي استمرت وبقيت عبر التاريخ وانشأت مدرسة في التلحين والأداء هي وليدة احدى هاتين المدرستين. الموسيقار محمد عبد الوهاب مثلاً بقي حتى انتصاف عمره الفني يستمع الى أداء الشيخين مصطفى إسماعيل ومصطفى رفعت. والمطرب وديع الصافي جمع في ألحانه بين الانغام الإسلامية والمسيحية. اما الصلاة فحاضرة في معظم ألحان الاخوين رحباني وصوت السيدة فيروز هو صوت صلاة. من هنا ففي الرسالة التي نالت على أساسها الدكتوراه في العلوم الموسيقية بدرجة امتياز أوضحت أنّ الصوت ليس مهمًا كصوت فقط، بل المهمّ اللغة التي أتى بها صاحب الصوت بها من رحم أجداده، فالمغني لا يأتي من العدم ويغني، بل ممّا ورثه عن السابقين. واعتبرت شبير انّ الغناء مستمد من القرآن والتجويد، ومن الالحان الكنسية، ومن اللغة العربية الفصحى والعامية، ومن السريانية، فكل هذه المصادر أوجدت النمط الذي تغني فيه ولا يمكنها فصل نفسها عنها. وشدّدت على ضرورة استمرار الجانب الروحي في مسيرتها الفنية او مسيرة سواها، من هنا لا مانع من ان يرتل المطرب، لكن شرط ان يعرف انّ الكلمة هي الأساس في الترتيل، ومن الضروري أن يتخلّى عن استعراض قدراته وامكاناته الصوتية عندما يرتّل وان يحافظ على روحانية الترنيمة والتخفيف من جماليّات ومحليّات الصوت التي يضيفها الى الاغنية العادية. فللترتيل خصوصية، بينما التصرّف يكون اكبر في الغناء الدنيوي، وهذا بحاجة لتوفّر الذكاء والعِلم عند الفنان، حتى يتجنّب عند إعادة تسجيل الالحان الدينية وحتى الدنيوية اضافة عُرب والتطريب في غير الأماكن المخصصة لها. فلو أراد الملحن والمطرب الأول او المرتّل الأول للعمل، لأضافها في النسخة الأساسية للاغنية او للترنيمة.

وعن واقع الاعمال الغنائية الحالية في لبنان شكت شبير من سيطرة نمط الاغنية السريعة وتغييب الانماط الأخرى. ففي اوروبا الاغنية السريعة موجودة، ولكن هناك أيضا أنواع أخرى ايضًا، من هنا رأت أن علينا ان لا تقتصر اعمالنا على الاغنية القصيرة، متسائلةً أليس لدينا القدرة على تقديم أنماط أخرى؟ ففي تونس والجزائر مثلاً

يحافظون على الالوان التراثية والتقليدية الخاصة بهم وينتجون اعمالاً معاصرة على منوالها الى جانب تقديم الأغنيات الحديثة والسريعة والاستمتاع بأغنياتنا ايضًا. أمّا نحن في لبنان فلم نعد نعرف تلك الأنماط والألوان التقليدية في الغناء، وصرنا لا نفكر الا بالمردود المالي لهذا العمل او ذاك، متجاهلين أهمية القيمة الفنية والمعنوية للاغنية، حتى صار الفن سلعة. وأضافت انّ اعمال الاخوين رحباني وفيلمون وهبي وزكي ناصيف وغيرهم ستبقى في التاريخ لأن أصحابها لم ينظروا للفن كسلعة فحسب. وقالت شبير ان نتاج القرن العشرين لحنيًا وغنائياً لن يُنسى، فهو حصيلة بعض اعمال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وقد جمع كل أنماط الغناء العربي بأجمل طريقة وبأصوات مقتدرة ، أما اليوم فلم نعد نقدّم من كل تلك الأنماط الا الطقطوقة.

وعن طلاب الغناء قالت انهم نوعان .. اشخاص يريدون تدريب أصواتهم ليغنوا بطريقة صحيحة وليعرفوا كيفية التعامل مع الموسيقيين وتحصيل المعلومات الضرورية للغناء، وهي تحترمهم لانهم صريحون ويعرفون ما يريدون وعلى هذا الأساس هي تعطيهم المواد التي تناسبهم. وهناك فئة أخرى من الطلاب تعرف من عيونهم انهم شغوفون ويريدون المعرفة ويبحثون عن معلومات إضافية عن تلك التي تعطيهم إياها في الجامعة، وهؤلاء تعطيهم اكثر من البرنامج المقرر وتبحث لكلّ طالب منهم في المخزون الغنائي العربي عن الصوت وتقنية الأداء التي تشبه صوته وتدلّه على النمط الذي يناسبه واللون الذي

يليق بصوته، وتدعوه لاعتماده. فليس من الضرورة ان يكون كل صوت مؤهلاً لغناء الدور وقصيدة، لكنه في المقابل قد يكون مميّزًا وناجحًا في أداء أنماط أخرى.

وعن الخامات الصوتية بين أبناء جيل اليوم قالت شبير انها موجودة كما كانت لدى الأجيال السابقة. وفي كل حين هناك خامات جيدة وأصوات جميلة، لكنّ أصحابها إما انهم لا يحترفون الغناء واما انهم موجودون على الساحة لكنهم لا يبرزون لأسباب مختلفة، متحدثة عن أهمية الكاريزما للمغني التي ورغم توفرها عند البعض الا انه قد لا يصل الى مرتبة النجاح، لانه لا يجيد رسم الخط والهوية الفنية التي تليق يه، فيساير متطلبات السوق اعتقادًا منه انه بذلك سينجح، ولكنّه بذلك يصبح شبيهًا بجميع الفنانين الاخرين ويفقد تميّزه رغم جمال صوته وطلّته.

وعن الجمهور وتقبّل كل ما يقدّم له من أغنيات واصوات قالت شبير انها لا تلوم الناس لأنهم لا يعرفون في التفاصيل، فهم طيبون وسمعهم صحيح بالفطرة، لكننا عوّدناهم

على نمط غنائي سيّء دخل في أدمغتهم وصاروا يطلبون سماعه. وتطرّقت الى أهمية المهرجانات في هذا الاطار فقالت اننا بلد المهرجانات والفرح، لكن للاسف صارت تلك المهرجانات موجّهة نحو نمط واحد، فنشاهد فيها الفنانين انفسهم والأداء نفسه، ويغيب عن برامجها التنوع. وقالت ان مهرجانات بعلبك حين أُنشئت لم تنشأ لتشهر فنانًا بل لتشهر نوعًا فنيًا اصيلاً، أي الاوبريتات والمسرحيات، الباقية في تاريخنا وذاكرتنا الى اليوم، لان المهرجان آنذاك كان مهتمّا باطلاق شيء جديد على الصعيد الفني. فمن غير المقبول ان تكون كل برامج مهرجانات لبنان عبارة عن فنان يغني على المسرح، وعلى القائمين عليها ان يسألوا أنفسهم ماذا سيكتب التاريخ عن نتاج مهرجاناتهم؟ ماذا سيقال عنهم وعمّا قدّمته المهرجانات التي يديرونها لتاريخ الفن؟ هل سيذكر التاريخ ان فلانًا غنى في المهرجان

وذهب الى بيته؟ واوضحت انها تعلم انهم يحتاجون الى حفلات جماهيرية لتأمين التكاليف المادية، لكن في المقابل يمكنهم الاستفادة من اللون الفني المحلي او العالمي الذي يستقطب جمهورًا عريضًا وعائدات مالية كبيرة، لتقديم نمط اخر يبقى للتاريخ. وهو ما تقوم به أحيانًا مهرجانات بعلبك وبيت الدين. وأشارت شبير الى حاجتنا لفكر فني في هذه المهرجانات للتواصل مع الفنانين ومناقشتهم في الأفكار الجديدة التي سيقدّمونها في تلك الاعمال. وقالت انّ هناك كمّا من الاعمال "النائمة" تحتاج لفرصة، مطالبةً كل مهرجان بتخصيص ليلة من لياليه لإنتاج عمل جديد لفنانين يريدون تقديم عمل فنيّ جيّد ومختلف عن السائد، وليتمّ دعمهم مادياً وفي الصحافة والاعلام والاعلان، كي يؤلفوا ويلحّنوا حتى يبقى الفن اللبناني، وكي يقال لاحقًا أنّ المهرجان الفلاني دعم الفن اللبناني، فليس من الضرورة ان يؤتى دائمًا بالاعمال الجاهزة مسبقًا.